عَالِمُ غَيَابٍكَ

أَيَّةُ إِبْرَاهِيمَ عَوَضٍ

wallpaperbases.com

wallpaperbases.com

الْفَصْلُ الْأَوَّلُ

الْفَهْرَسُ

1. مَنْ أَنْتَ

2. إِحْسَاسٌ زَائِدٌ

3. فَاقِدًا لِذَاكِرَةٍ

4. كَمْ احْتَاجَكَ

5. لَمْ يَكُنْ ذَنْبِي

6. بَطَلًا لِأَحْلَامِي

7. أَحْبَبْتُكَ طِفْلَةً وَجَعَلْتُكَ قُدْوَةً

8. مَصْدَرُ قُوتِيٌّ

الْمُقَدِّمَةِ

لَقَدْ بَدَأَتْ رِحْلَتِي فِي عَالَمِ الْغِيَابِ مُنْذُ أَرْبَعِ سَنَوَاتٍ بَدَأْتُهَا مُنْذُ فِرَاقِنَا الْأَوَّلِ.

لَمْ يَكُنْ مُجَرَّدَ فِرَاقٍ، بَلْ صَحْوَةٍ وَهُمْ أُغْرِقَ بِهِ؛ نَعَمْ إِنَّهُ الْوَهْمُ الَّذِي يَحْمِلُ الْكَثِيرَ مِنْ الذِّكْرَيَاتِ الرَّائِعَةِ.

إِنَّهُ أَجْمَلُ وَهُمْ فِي حَيَاتِي، لَكِنَّ ذَلِكَ فِي بِدَايَةُ فِرَاقِنَا.

أَمَّا الْآنَ لَقَدْ أَصْبَحَ عَالِمًا بِأَكْمَلِهِ عَالِمٌ يَسْكُنُهُ الشَّوْقُ وَالْكَثِيرُ مِنَ الْحُبِّ وَالْأَكْثَرُ مِنَ الْعِتَابِ

مَنْ أَنْتَ؟

قَبْلَ أَرْبَعِ سَنَوَاتٍ كُنْتُ أَعِيشُ وَحْدِي لَمْ أُفَكِّرْ بِشَيْءٍ وَلَا أَحْمِلُ هُمَا، كُنْتُ طِفْلَةً أَعِيشُ أَيَّامِي بِسَلَامٍ وَكَأَنَّ الْحَيَاةَ لِي وَحْدِي لَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِي الْحُبُّ وَلَمْ أُفَكِّرْ بِهِ لَمْ أَحْمِلْ أَيَّ فُضُولٍ لَهُ.

إِلَّا أَنْ دَخَلْتُ حَيَاتِي تَغَيُّرًا كُلَّ شَيْءٍ لَقَدْ كَانَ لَكَ تَأْثِيرٌ كَبِيرٌ عَلَى حَيَاتِي وَطَرِيقَةُ تَفْكِيرِي.

مُنْذُ دُخُولِكَ لِحَيَاتِي أَصْبَحْتُ أُفَكِّرُ بِأَشْيَاءَ لَمْ تَكُنْ تَخْطُرُ عَلَى بَالِي مِنْ قَبْلُ أَصْبَحْتْ

أَعِيشُ شُعُورًا لَمْ أَسْتَطِعْ تَفْسِيرَهُ، لَقَدْ جَعَلْتُ حَيَاتِي أَجْمَلَ وَأَرْوَعَ مِنْ قَبْلُ.

لَقَدْ أَخَذْتَنِي مِنْ عَالَمِهِمْ لِتَضُمَّنِي إِلَى عَالَمِكَ الْخَاصِّ، أَصْبَحْتُ لَا أَرَى سِوَاكَ وَلَا أُفَكِّرُ بِغَيْرِكَ وَلَا يُوجَدُ بِقَلْبِي سِوَاكَ أَلَمْ تُخْبِرْنِي مَنْ أَنْتَ؟

بَعْدَ مُدَّةٍ مِنْ الْعَيْشِ فِي عَالَمِكَ الْخَاصِّ تَحَرُّكُ شُعُورِيٌّ نَحْوُ شَيْءٍ غَرِيبٍ؛ كُلَّمَا أَرَكَ يَخْفِقُ قَلْبِي بِسُرْعَةٍ لَا يُمْكِنُ وَصْفُهَا، تَلْمَعُ عَيْنَايَ تَفْسِيرًا لِسَعَادَتِي بِرُؤْيَتِكَ.

لَقَدْ جَذَبْتَنِي لَكَ بِطَرِيقَةٍ غَرِيبَةٍ إِلَى الْآنَ لَمْ أَفْهَمْهَا يَا تَرَى إِلَى أَيِّ عَالَمٍ تَنْتَمِي؟! وَمِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ؟! فَأَخْبِرْنِي مَنْ أَنْتَ؟!.

أَثْنَاءَ حَدِيثِي مَعَكَ أَشْعُرُ وَكَأَنِّي أُخَاطِبُ نَفْسِي وَفِي لَمْسَةِ يَدِكَ أَشْعُرُ كَأَنَّهَا غَمَرَتْ قَلْبِي، لَقَدْ جَذَبْتَنِي لَكَ بِطَرِيقَتِي الْمُفَضَّلَةِ بَلْ طَرِيقَةً مُمَيَّزَةً كُنْتَ تَعْلَمُ كَيْفَ تَحْتَوِينِي.

أَتَذَكَّرُ أَنَّكَ كُنْتَ تُفَرِّقُ أَوْقَاتَنَا بِطَرِيقَةٍ مُذْهِلَةٍ تُدْرِكُ وَقْتَ الْحُزْنِ مَتَى وَكَيْفَ تُرَاضِينِي، كُنْتُ تَعْلَمُ مَتَى وَكَيْفَ تُغَازِلُنِي، وَإِلَى أَيِّ حَدٍّ تَصِلُ فِي الرُّومَانْسِيَّةِ مَعِي.

لَقَدْ كَانَ وُجُودُكَ فِي حَيَاتِي عَالَمٌ سِحْرِي
لَقَدْ سَحَرْتُ عَقْلِي قَبْلَ قَلْبِي

"بِرَبِّكَ أَخْبِرْنِي مَنْ أَنْتَ".

إِحْسَاسٌ زَائِدٌ

فِي وَسَطِ الْبَلْدَةِ وَمِنْ بَيْنِ مِلْيُونِ شَخْصٍ يَسْتَطِيعُ قَلْبِي تَحْدِيدَ مَكَانِكَ وَالشُّعُورِ بِوُجُودِكَ.

كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ قَلْبِي لَمْ يَعُدْ يُبَالِي بِكَ وَظَنَنْتُ أَيْضًا أَنَّهُ نَسِى وُجُودَكَ بِأَكْمَلِهِ، لَقَدْ ظَلَمْتُ قَلْبِي حِينَ أَدْرَكْتُ أَنَّ لَدَيْهِ إِحْسَاسٌ غَرِيبٌ تُجَاهَ قَلْبِكَ.

لَمْ أُدْرِكْ مِنْ قَبْلُ مَاذَا تَعْنِي لِي وَمَاذَا يَعْنِي وُجُودَكَ فِي الْحَيَاةِ لِقَلْبِي فَبَعْدَ غِيَابِنَا شَهْرًا يِلْوَ الْأُخَرَ أَدْرَكْتُ أَنِّي مُشْتَعِلَةٌ بِكَ وَبِقَلْبِكَ.

وَبَعْدَ مُدَّةٍ مِنَ الزَّمَنِ أَدْرَكْتُ مَاذَا تَعْنِي لِي فَإِنَّ عَقْلِيًّا لَنْ يَنْسَى وُجُودَكَ، وَقَلْبِي لَنْ يَنْسَى دَقَّاتِ قَلْبِكَ، وَعَيْنَايَ لَنْ تَغِيبَ عَنْهَا مَلَامِحُكَ،ابْتِسَامَتُكَ رَائِحَةُ عِطْرِكَ جَمِيعُهَا تَفَاصِيلُكَ لَنْ تَغِيبَ عَنْ رُوحِي أَبَدًا.

لَمْ تَكُنْ الْعِوَضُ لِأَخَّرِ عُمْرِي لَكِنَّكَ الْعِوَضَ الَّذِي اخْتَارَهُ اللّٰهُ لِي لِيَكُونَ الْخَيْرُ فِيهِ.

فَذِكْرَى وُجُودِكَ فِي حَيَاتِي تَحْمِلُ جَمِيعَ مَعَانِي الْخَيْرِ لِقَلْبِي، لَنْ أُنْكِرَ أَنَّ وُجُودَكَ الْمُؤَقَّتُ هُوَ الَّذِي رَمَّمَ قَلْبِي مِنْ جَدِيدٍ.

لَقَدْ جَعَلَنِي وُجُودَكَ أُحِبَّ الْحَيَاةَ وَأَحِبَّ نَفْسِي أَكْثَرُ.

أَوَدُّ سُؤَالَكَ هَلْ سَمِعْتَ بِاَلَّذِي يُؤْمِنُونَ بِمَقُولَةِ:

"أَنَّ الْحُبَّ الْأَوَّلَ لَا يَنْسَى"

أَوَدُّ أَخْبَارَكَ أَيْضًا أَنَّهَا مَقُولَةٌ لِيسَ صَادِقَةٌ إِنَّمَا الْأَصْدَقُ:

"أَنَّ الْحُبَّ الصَّادِقَ هُوَ الَّذِي لَا يُنْسَى".

كَمْ مِنْ شَخْصٍ كَانَ الْأَوَّلُ فِي حَيَاتِنَا وَلَمْ يَتْرُكْكَ أَثَرٌ فِي قُلُوبِنَا عَدَّ الدَّمَارِ وَالْأَذَى النَّفْسِيِّ.

فَيَأْتِي بَعْدَ مُدَّةِ الْحُبِّ الصَّادِقِ الَّذِي يَتَمَيَّزُ بِحَنِينِهِ وَلُطْفِهِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ قُلُوبِنَا ذَاكَ الَّذِي يَتَمَيَّزُ بِأُسْلُوبِهِ الْعَذْبِ لِلْحِفَاظِ عَلَيْنَا.

لِيُرْمِّمَ مَ تَرْكَهُ ذَاكَ الَّذِي تَرَكَ آثَارَ التَّعَبِ عَلَى وَجْهُونَا.

كَانَ لِقَلْبِي إِحْسَاسًا أَنَّكَ سَتَكُونُ الْأَصْدَقَ لَمْ أَعْلَمْ مَا ذَلِكَ الْإِحْسَاسُ تُجَاهَكَ لَكِنَّهُ

"إِحْسَاسٌ زَائِدٌ".

فَاقِدًا لِذَاكِرَةٍ

فِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ حَيَاتِي الْعَابِرَةِ أُصِيبُ عَقْلِي بِشَيْءٍ مَا أَصْبَحْتُ أَنْسَى أَدَقَّ تَفَاصِيلِ حَيَاتِي وَأَنْسَى كُلَّ شَيْءٍ جَدِيدٍ يَحْدُثُ بِهَا، أَنْسَى أَيْنَ أَنَا؟! وَلِمَاذَا أَنَا هُنَا؟! أَصْبَحْتُ أَتَذَكَّرُ أَشْيَاءَ لَا أَعْرِفُ مَاذَا تَعْنِي لِي؟ وَلَا أَعْرِفُ مِنْ أَيْنَ مَصْدَرُهَا؟!

يَا تَرَى مَاذَا حَصَلَ لِذَاكِرَتِي مِنْ جَدِيدٍ هَلْ أَصَبْتَ حَقًّا بِزَهَايْمَرْ أَمْ أَنَّهَا تَرْفُضُ تَذْكُرُ أَيَّ شَيْءٍ لَا يَرْتَبِطُ بِكَ.

بَعْدَ فِرَاقِكِ عَنِّي أَصْبَحْتَ عَيْنَايَ لَا تَرَى

سِوَى السَّوَادِ وَقَلْبِي مِنْ تَارِيخِ ذَهَابِكَ لِلْآنَ تَوَقُّفًا رَافِضًا لِلنَّبْضِ وَالْعَيْشِ بِشُعُورِ الْحُبِّ مَعَ غَيْرِكْ فَكَيْفَ لِرُوحِي الْعَيْشِ دُونَكَ؟!
وَكَيْفَ لِقَلْبِي أَنْ يُنْبِضَ بَعْدَكَ؟! كَيْفَ لِعَيْنِي رُؤْيَةُ أَلْوَانٍ غَيْرِ لَوْنِ الْحَيَاةِ مَعَكَ؟!

كَيْفَ تُرِيدُنِي انْ اصْلَ لِشَيْءٍ لَا تَرْبُطُنِي عَلَاقَةٌ بِهِ؟! وَكَيْفَ تُرِيدُنِي أَنْ أَتَمَتَّعَ بِحَيَاتِي وَأَنْتَ لَسْتَ بِهَا؟!

لَقَدْ أَصْبَحَتْ جُثَّةٌ هَامِدَةً بِلَا رُوحِ أَسِيرٍ فِي حَيَاتِي إِلَى أَنْ يَأْتِيَ أَجَلِي فَكُلُّ شَيْءٍ عَابِرٌ بِالنِّسْبَةِ لِي لَيْسَ لَدَى هَدَفٍ وَلَا حُلْمٍ أَعِيشُ

لِأَجْلِهِ لَا تَعْنِي لِي الْحَيَاةَ وَلَا أُدْرِكُ قِيمَتَهَا، تَمُرُّ أَيَّامِي وَكَأَنَّهَا هَوَاءٌ لَا يَلِيقُ بِرُوحِي أَنْ تَسْتَنْشِقَهُ.أَصْبَحَتْ غَيْرَ قَادِرَةٍ عَلَى اسْتِيعَابِ الْعَيْشِ بَعْدَكَ.

تَحْسَبُنِي أَنِّي نَسِيتُ مَنْ أَنْتَ؟! وَمَاذَا تَعْنِي لِرُوحِي؟! أَوْ حَتَّى نَسِيتُ أَيَّامَنَا؟! كَمْ أُرِيدَ سُؤَالُكَ ذَلِكَ.

لَقَدْ جَاءَ الْوَقْتُ الْمُنَاسِبُ لِأُخْبِرَكَ بِأَنِّي

"فَاقِدًا لِذَاكِرَةٍ لَيْسَ لَكَ".

كَمْ احْتَاجَكَ

تَمُرُّ عَلَى نَفْسِي أَيَّامٌ تُرِيدُ بِهَا لِقِيَاكَ وَتُرِيدُ أَيْضًا مُحَادَثَتُكَ وَعَنَاقُكَ؛ لِأَخْبَارِكَ كَمْ صَعْبَةَ الْأَيَّامِ دُونَكَ، كَمْ احْمِلْ أَوْجَاعًا فِي قَلْبِي لَا يُمْكِنُنِي أَخْبَارُهَا لِغَيْرِكَ وَكَمْ أُعَانِي فِي عَالَمِ غِيَابِكَ، أَمَا عَنْ قَلْبِي يُرِيدُ أَخْبَارَكَ بِجَمِيعِ مِ كَتْمِهِ خِلَالَ الْأَرْبَعِ سَنَوَاتٍ هَذِهِ.

أَحَادِثٌ نَفْسِي فِي لَحَظَاتِ ضَعْفِي اسْأَلْهَا "لِمَاذَا لَمْ نَعُدْ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّكَ مَا زِلْتَ تَسْكُنُ قَلْبِي؟!" يُرَافِقُ سُؤَالِي ابْتِسَامَةً سُخْرِيَةً لَا أَعْلَمُ إِنْ كَانَتْ لِنَفْسِي أَمْ لِسُؤَالِي،

لَا أَعْلَمُ أَنْ كَانَتْ تِلْكَ الِابْتِسَامَةُ لِعَلَاقَتِنَا الْمَاضِيَةِ أَمْ لَكَ.

أُحَادِثُكَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي فَفِي لَحَظَاتٍ أَتَغَزَّلُ بِكَ، وَلَحَظَاتٌ أُخْرَى ابْدَأْ بِمَعَاتِبِكَ لِأَبَدِ نِقَاشِي مَعَكَ:

"لِمَاذَا سَكَنْتُ قَلْبِي عَلَى الرَّغْمِ مِنْ كَسْرِهِ؟ لِمَاذَا عَلَّقْتَنِي بِكَ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ فِرَاقِكَ؟ كَيْفَ أَصْبَحْتَ جُزْءًا مِنْ رُوحِي بِالرَّغْمِ مِنْ غِيَابِكَ؟"

يَا تَرَى إِلَى أَيْنَ ذَهَبْتَ وَتَرَكْتَنِي وَحْدِي

وَأَنْتَ تَعْلَمُ بِضَعْفِي دُونَكَ؟ لَقَدْ تَرَكْتَنِي أُوَاجِهُ حَيَاةً أَقْوَى مِنِّي بِكَثِيرٍ.

ذَهَبْتُ دُونَ إِخْبَارِي بِأَنْ أَكُونَ قَوِيَّةً هَلْ تَعَمَّدْتَ أَذِيَّتِي أَمْ أَنَّكَ لَمْ تُدْرِكْ أَنِّي سَأُضْعِّفُ بِكَثِيرٍ بَعْدَكَ؟! لَقَدْ أَصْبَحَ يُرَافِقُنِي الشَّوْقَ لِابْتِسَامَتِي، وَالْحَنِينَ لِعَفْوِيَّتِي، وَلِطُفُولَتِي الْبَرِيئَةِ مَعَكَ.

بِوُجُودِكَ أَصْبَحْتَ أَشْتَاقُ لِرَاحَتِي الَّتِي كَانَتْ تُرَافِقُنِي مَعَكَ.

أَخْبَرْنِي لِمَاذَا لَا تَعُودُ فَأَنَا بِحَاجَةٍ لِلْقُوَّةِ مِنْكَ

وَبَعْضِ الْأَمَلِ فِي حَيَاتِي وَالْكَثِيرِ مِنْ
أَخْبَرْنِي لِمَاذَا لَا تَعُودُ فَأَنَا بِحَاجَةٍ لِلْقُوَّةِ مِنْكَ
وَبَعْضِ الْأَمَلِ فِي حَيَاتِي وَالْكَثِيرِ مِنْ
تَفَاؤُولَ فِي الْحَيَاةِ بِحَاجَةِ حَيَاتِي الَّذِي
تَرَكْتَنِي وَرَافَقْتُكَ فِي غِيَابِكَ.

بَعْدَ كُلِّ هَذَا الْفِرَاقِ لَيْتُكَ أَدْرَكْتَ

"كَمْ احْتَاجَكَ".

لَمْ يَكُنْ ذَنْبِي

لَقَدْ جَمَعَنِي الْقَدْرُ بِكَ فِي سِنِّ الْخَامِسَةَ عَشَرَ لَمْ أَكُنْ أَفْهَمُ مَا هُوَ الْحُبُّ؟ وَلَا أَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ لِقَدَرِي؟! وَإِلَى أَيْنَ سَيَأْخُذُنَا الْقَدْرَ مَعًا؟!

يَا تَرَى مَا هِيَ نِهَايَةُ وُجُودِكَ فِي حَيَاتِي؟! أَخْبَرَنِي مَا ذَلِكَ الشُّعُورُ الَّذِي جَعَلْتَنِي أَشْعُرُ بِهِ أَثْنَاءَ وُجُودِكَ فِي حَيَاتِي لَقَدْ كَانَ شُعُورًا لَا يُمْكِنُ وَصْفُهُ.

أَكْمَلَتْ أَيَّامِي بِجَانِبِكَ وَأَنَا لَا أَعْلَمُ مَا ذَلِكَ الشُّعُورُ، يَا تَرَى مَنْ أَنْتَ؟! وَمَاذَا تَعْنِي لِي؟!

وَالْكَثِيرُ مِنْ الْأَسْئِلَةِ تُجَاهَكَ لَمْ يَكُنْ يُرَافِقُهَا سِوَى جَوَابٍ وَاحِدٍ لِجَمِيعِ هَذِهِ الْأَسْئِلَةِ؛ لَقَدْ أَصْبَحْتُ جُزْءًا مِنْ حَيَاتِي فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ الَّتِي قَضَيْنَاهَا مَعًا.

عِنْدَ اقْتِرَابِي مِنْكَ وَالْحَدِيثُ مَعَكَ كُنْتَ أَشْعُرُ وَكَأَنَّنِي أَمْلِكُ شَيْئًا لَا يُمْكِنُ لِأَيِّ إِنْسَانٍ أَنْ يَمْلِكَهُ لَا أَعْلَمُ مَا هُوَ وَيَصْعُبُ عَلَيَّ وَصْفُهُ،لَكِنْ عِنْدَ حُضُورِكَ أَفْقَدَ عَقْلِي وَ أَصْبَحَ غَيْرَ قَادِرَةٍ عَلَى التَّفْكِيرِ بِأَيِّ شَيٍّ آخَرَ سَوَّى بِكَ.

فِي كُلِّ يَوْمٍ أَتَأَمُلُكَ وَكَأَنَّهَا نَظَرَاتِي الْأَخِيرَةُ

لَكَ وَابْدَأْ ارْسُمْ تَفَاصِيلَكَ فِي مُخَيِّلَتِي وَذِكْرَيَاتِنَا مَعًا فِي قَلْبِي.

لَقَدْ كُنْتُ شَخْصًا آخَرَ فِي حَيَاتِي بَلْ كُنْتُ عَالِمًا يَسْكُنُهُ الْوُدُّ وَالْأَمَلُ وَالْكَثِيرُ مِنْ السَّعَادَةِ وَالرَّاحَةِ.

لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ بِأَنَّكَ سَتُصْبِحُ ذِكْرَى لَا أَسْتَطِيعُ وَصْفَهَا فِي حَيَاتِي.

شَاءَ الْقَدْرَ وَافْتَرَقْنَا، فِي الْبِدَايَةِ كُنْتُ أَحْسَبُكَ عَابِرًا فِي حَيَاتِي، كُنْتُ أَحْسِبُ

نَفْسِي قَادِرَةً عَلَى نِسْيَانُكَ وَنِسْيَانُ تِلْكَ السَّنَةِ الَّتِي عِشْنَاهَا مَعًا.

لَكِنْ لِلْقَدْرِ أَحْكَامًا وَكَانَ حُكْمُ الْقَدْرِ بِأَنْ أَدْفَعَ ثَمَنَ ذَنْبٍ لَمْ يَكُنْ ذَنْبِي، وَلِأَنَّ الْقَدْرَ أَقْوَى مِنْ قُدُرَاتِي اسْتَطَاعَ أَنْ يَحْكُمَ قَلْبِي أَنْ يُحِبَّكَ بَعْدَ الْفِرَاقِ وَالْآنَ يَصِلُ لِمَرْحَلَةِ الْهَيَامِ لَكَ لَكِنْ فِي غِيَابِكَ.

أَيْضًا كَانَ هُنَاكَ حُكْمٌ أَخِيرًا مِنْ ذَلِكَ الْقَدْرِ لْحَيَاتِي أَنْ تُصْبِحَ سَنَةً حُبِّنَا حَاجِزًا لَا يُمْكِنُ كَسْرُهُ وَلَا نِسْيَانُهُ حَتَّى.

فِي تِلْكَ اللَّحَظَاتِ أَتَمَنَّى أَنْ تَأْتِيَ لِتَرَى حَالَتِي فِي أَوَّلِ فِرَاقِنَا لَقَدْ أَصْبَحْتُ فِي الْمُنْتَصَفِ يَا عَزِيزِي.

فَعَيْنَايَ لَمْ تَعُدْ قَادِرَتَانِ عَلَى رُؤْيَةِ بَشَرٍ مِنْ جِنْسٍ آخَرَ بَعْدَكَ، وَشِفْتَايَ لَا تَعْرِفُ مَا هِيَ الْبَسْمَةُ فِي غِيَابِكَ، أَمَّا عَنْ قَلْبِي لَمْ يَحْمِلْ أَيْ

"ذَرَّةُ حَبٍّ لِغَيْرِكَ وَلَا الرُّجُوعُ لَكَ".

بَطَلًا لِأَحْلَامِي

بَيْنِي وَبَيْنَ وَسَادَتِي الْكَثِيرِ مِنَ الْأَحَادِيثِ عَنْكَ.

فِي كُلِّ لَيْلَةٍ نُخَاطِبُ بَعْضَنَا الْبَعْضَ عَنْ ذِكْرَيَاتِي الْجَمِيلَةِ مَعَكَ، حَيْثُ أَصْبَحَتْ تِلْكَ الْأَحَادِيثُ بَيْنِي وَبَيْنَ وَسَادَتِي رَفِيقَةَ أَيَّامِي فِي اللَّيْلِ، وَبِئْرٍ لِلْأَسْرَارِيِّ فِي الْحَدِيثِ عَنْكَ.

لَمْ تَكُنْ فِي حَيَاتِي الْوَاقِعِيَّةِ بَطَلًا لِمُسْتَقْبَلِي لَقَدْ جَمَعْنَا الْقَدْرَ سَنَةً وَاحِدَةً وَشَاءَ أَيْضًا أَنْ نَفْتَرِقَ لِلْأَبَدِ، لَكِنَّكَ اسْتَقْرَأْتَ فِي قَلْبِي طَوَالَ هَذِهِ الْمُدَّةِ وَسَتَبْقَى.

أَتَدْرِي بِأَنَّكَ سَكَنْتَ جَسَدِي بِأَكْمَلِهِ حَيْثُ يَدَايَ تَرْفُضُ لَمْسَ يَدٍ أُخْرَى، وَعَيْنِي لَا تَرَى سِوَاكَ،وَقَلْبِي لَا يُنْبِضُ لِغَيْرِكَ أَمَا عَنْ عَقْلِي لَمْ يَنْسَكْ.

فِي كُلِّ لَيْلَةٍ أَرَاكَ فِي مَنَامِي يَا تَرَى هَلْ كَانَ ذَلِكَ أُمْنِيَّاتِ قَلْبِي الَّتِي لَمْ تَتَحَقَّقْ مَعَكَ أَمْ أَنَّهَا إِشَارَاتٌ لِشَيٍّ مَا.

سَأُخْبِرُكَ الْآنَ عَنْ تِلْكَ الْمَنَامَاتِ لِأَبَدَّهَا مَعَكَ فِي مَنَامِي الْأَوَّلِ الَّذِي رَأَيْتُكَ بِهِ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ:

- فِي لَيْلَةِ رَايَتِكَ بِهَا تَقُومُ بِضَرْبِي بِشِدَّةٍ وَبَعْدَ ذَلِكَ تَقُومُ بِمُعَانَقَتِي عَنَاقًا شَدِيدًا لِأَشْعُرَ بِأَنِّي أَصْبَحْتُ مِلْكًا لَكَ.

- وَلَيْلَةٌ أُخْرَى رَأَيْتُكَ بِهَا تَأْخُذُنِي لِمَكَانٍ وَاسِعٍ تَمْسِكُ يَدَايَ وَتَقُولُ لِي خُذِي مَ يَحْلُو لِكَي،وَبَعْدَ ذَلِكَ تَجْعَلُنِي انْطَلَقَ فِي ذَاكَ الْمَكَانِ، أَتْمَعْنَ مَا يُوجَدُ بِهِ لِتَمْسِكَ يَدَايَ وَتَقُولُ لِي أَنَا هُنَا لَا تَخَافِينَ.

- وَآخِرُ لَيْلَةِ رَايَتْ بِهَا لِقَاءُ أَعْيُنِنَا الَّذِي قَالَ الْكَثِيرُ عَنْ شَوْقِنَا لِبَعْضٍ حَيْثُ كَانَتْ عَيْنَاكَ تَلْمَعُ كَثِيرًا نَقِفُ أَمَامَ بَعْضِنَا، يَتَمَعَّنُ كُلٌّ مِنَّا

عَيْنَايَ الْآخَرِ مُحْدِقِينَ فِي بَعْضِنَا مُصَاحِبَةً لَنَا ابْتِسَامَةٌ يَمْلَؤُهَا سَعَادَةً لِلِقَائِنَا الَّذِي كَانَ صُدْفَةً وَبَعْدَ ذَلِكَ تَقُومُ بِمُدِّ يَدَيْكَ لِتَمْسِكَ بِي بِشِدَّةٍ مَا شَعَرْتَ حِينَهَا أَنَّكَ تُغْمِرُنِي بِقَلْبِكَ.

أَمَّا الْآنَ وَفِي نِهَايَةِ أَحْلَامِي أَوَدُّ أَخْبَارَكَ أَنَّكَ أَصْبَحْتَ

"بَطَلًا لِأَحْلَامِي"

أَحْبَبْتُكَ طِفْلَةً وَجَعَلْتُكَ قُدْوَةً

فِي سِنِي الْخَامِسَ عَشَرَ أَوَّلَ شَخْصٍ يَدْخُلُ قَلْبِي أَنْتَ، لَمْ يَكُنْ عَقْلِيًّا يُفَرِّقُ كَثِيرًا بَيْنَ الصَّوَابِ وَالْخَطَأِ لَمْ أُدْرِكْ تَمَامًا مَاذَا يَعْنِي الْحُبَّ وَمَاذَا تَعْنِي هَذِهِ الْمَشَاعِرُ لِإِنْسَانٍ يَعِيشُ مُرَاهَقَتَهُ وَيُقَلِّدُ غَيْرَهُ.

بَعْدَ مُرُورِ أَيَّامٍ مِنْ تَبَادُلِ الْأَحَادِيثِ الْكَثِيرِ بَيْنَنَا أَصْبَحَتْ تَأْخُذُ دُورًا أُمِّيًّا لِتُوَجِّهَنِي عَلَى أُمُورِ الْحَيَاةِ الَّذِي لَمْ يُدْرِكْهَا عَقْلُ طُفُولِي لِلْآنَ.

كُنْتُ رَفِيقًا لِي وَمَلْجَأِيَ الْوَحِيدَ كُنْتُ تَسْتَمِعُ

لِأَغْلَاطِي لِنُصْلِحَهَا مَعًا لَا لِتُعَاقِبَنِي.

أَتَذَكَّرُ كَثِيرًا أَنَّ عِدَّةَ مَرَّاتٍ وَجْهَنِي لَامُورٌ أَكْبَرَ مِنِّي، لَا أَعْرِفُ كَيْفَ جَاءَتْ لِي بِعُمْرِي الصَّغِيرِ هَذَا جَعَلْتَنِي أَتَعَامَلُ مَعَهَا وَكَأَنِّي فِي عُمَرَ أَكْبَرَ مِنْ عُمْرِي عُمْرًا مُنَاسِبًا لَهَا.

وَبَعْدَ عِدَّةِ أَسَابِيعَ قُمْتُ بِأَخْذِ دُورِ أَبِي لَقَدْ غَمَرْتَنِي بِحَنِينِكَ الَّذِي جَعَلَنِي أَشْعُرُ وَكَانَ أَبَيَّا الَّذِي يُخَاطِبُنِي، كُنْتُ تَمْدَحُنِي كَثِيرًا وَتَقُومُ بِمُفَائَلَتِي لِلْحَيَاةِ وَالدِّرَاسَةِ، تَتَغَزَّلُ بِي كَيْ لَا أَشْعُرَ أَنَّ الْكَلَامَ غَرِيبٌ عِنْدَ سَمَاعِهِ فِي الْخَارِجِ،

لَقَدْ احْتَضَنْتَنِي بِأُسْلُوبِكَ الرَّائِعِ لَقَدْ قُمْتُ بِدَوْرٍ كَبِيرٍ لَنْ أَنسَا فَضْلَهُ لِلْآنَ.

وَبَعْدَ مُرُورِ سَنَةٍ قَضَيْنَاهَا مَعًا وَخِلَالَ سَبْعِ سَنَوَاتٍ مِنْ فِرَاقِنَا تَعَلَّمْتُ مِنْكَ الْكَثِيرَ.

بِكُلِّ مَرَّةٍ أَقَعُ بِهَا فِي أُمُورِ الْحَيَاةِ وَمَصَاعِبِهَا الَّذِي كَانَتْ تُوَاجِهُنِي كُنْتُ أَتَذَكَّرُ جَمِيعَ أَقْوَالِكَ لِي وَاعْمَلْ بِهَا.

كُنْتُ أَتَذَكَّرُ جَمِيعَ تَوْجِيهَاتِكَ وَأُفَكِّرُ بِهَا لَقَدْ كَانَتْ تُسَاعَدْنِي كَثِيرًا عَلَى تَخَطِّي جَمِيعِ الصِّعَابِ.

لَمْ أُنْكِرْ أَنِّي

"أَحْبَبْتُكَ طِفْلَةً وَجَعَلْتُكَ قُدْوَةً".

مَصْدَرٌ قُوتِي

يَا تَرَى مَا هِيَ أَخْبَارُكَ؟! وَمَاذَا عَنْ أَحْوَالِكَ؟! وَكَيْفَ تَقْضِي أَيَّامَكَ دُونَ وُجُودِي؟! هَلْ اعْتَدْتَ الْعَيْشَ دُونِي وَأَنَا الَّذِي كُنْتُ تُنَادِينِي بِرُوحِي؟! كَيْفَ لِلْجَسَدِ أَنْ يَعِيشَ دُونَ رُوحِهِ؟!

فِي بِدَايَةِ الْفِرَاقِ وَفِي كُلِّ يَوْمٍ قَضِيَّتُهُ دُونَكَ لَمْ يَكُنْ بِالنِّسْبَةِ لِي يَوْمًا عَادِيًّا؛ وَإِنَّمَا كَانَ مُجَرَّدَ وَقْتٍ يَجِبُ أَنْ أَقْضِيَهُ.

بَدَأْتُ بِإِكْمَالِ طَرِيقَيْ ذَلِكَ الطَّرِيقِ الَّذِي تَعَاهَدْنَا أَنْ نُكَمِّلَهُ مَعًا لَا يُوجَدُ بِهِ غَيْرِي،

عِنْدَ كُلِّ عَقَبَةٍ مِنْ عَقَبَاتِ الْحَيَاةِ الَّذِي كَانَتْ تُوَاجِهُنِي كُنْتُ أَضْعِفُ أَلْفَ مَرَّةٍ؛ وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ أَتَأَكَّدُ أَنِّي مَا زِلْتُ أَحْتَاجُكَ؛ فَاحْتِيَاجِي لَكَ يُؤَكِّدُ عَقْلٌ لِقَلْبِي أَنِّي مَا زِلْتُ أُحِبُّكَ، أُرِيدُكَ بِحَيَاتِي، وَأُحِبُّ وُجُودَكَ بِجَانِبِي، أَصْبَحَ أَقْوَى مَعَكَ، وَبِجَانِبِكَ أَشْعُرُ بِطَاقَةٍ إِيجَابِيَّةٍ لَا يُمْكِنُ وَصْفُهَا.

لِمَاذَا لَمْ تَعُدْ؟!، أَلَمْ تَشْتَقَّ لِي، وَتَشْتَاقُ لِوُجُودِي فِي حَيَاتِكَ؟!، لَقَدْ كُنْتَ مَصْدَرًا لِسَعَادَتِكَ، وَالنَّبْضُ لِقَلْبِكَ وَالرُّوحِ لِجَسَدِكَ.

هَلْ كَانَ هَذَا مُجَرَّدَ كَلَامٍ وَأَوْهَامٍ لِتُعَلِّقَنِي

بِكَ أَكْثَرَ وَأَكْثَرَ، أَمْ لِتُصْبِحَ كَسْرَتِي أَعْمَقَ، أَمْ أَنَّهُ كَانَ مُجَرَّدَ شُعُورٍ مُؤَقَّتٍ وَلَحْظِيٍّ؟.

مَعَ مُرُورِ سَنَوَاتٍ عَدِّهِ عَلَى رَحِيلِكَ أَصْبَحَ قَلْبِي بَارِدًا وَعَقْلِيًّا نَاضِجًا وَنَظَرَتِي لِلْحَيَاةِ أَكْثَرَ تَفَاؤُلًا؛لَقَدْ زَادَ طُمُوحِي وَزَادَتْ أَحْلَامِي، وَبَدَأَ تَفْكِيرِي نَحْوَ أُمُورِ حَيَاتِي الْعَامِّيَّةِ وَالشَّخْصِيَّةِ أَكْثَرَ إِيجَابِيَّةً.

لَقَدْ أَصْبَحْتُ أَقْوَى مِمَّا كُنْتُ عَلَيْهِ سَابِقًا وَفِي كُلِّ يَوْمٍ أُحِبُّ نَفْسِييَوْمَ أُحِبُّ نَفْسِي أَكْثَرُ وَأَكْثَرَ أُنْظُرْ لِلْحَيَاةِ وَكَأَنَّنِي الْأَفْضَلُ.

لَمْ أُنْكِرْ بِأَنَّهُ لَا يُوجَدُ هَدَفٌ بِحَيَاتِي وَلَكِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَصْلَ إِلَى أَيْنَ وَلِمَاذَا لَا أَعْلَمُ وَلَكِنِّي عَلَى يَقِينٍ بِأَنَّنِي سَأَصِلُّ وَسَأَكُونُ نُقْطَةَ الْبِدَايَةِ لِتَحَوِّلِ حَيَاتِي إِلَى الْأَفْضَلِ.

وَفِي النِّهَايَةِ أُرِيدُ أَنْ أَشْكُرَكَ فَكُلْ هَذَا بِسَبَبِكَ نَعَمْ أَنْتَ الَّذِي جَعَلْتَنِي أُفَضَلَ وَجَعَلْتَ حَيَاتِي أَكْثَرُ حَيَوَيْهِ، أَنْتَ الَّذِي قُمْتَ بِتَغَيُّرِ تَفْكِيرِي لِلْأَحْسَنِ وَجَعَلْتَنِي أُحِبُّ نَفْسِي أَكْثَرَ وَاتِّفَائِلُ فِي كُلِّ مُشْكِلَةٍ مِنْ مَشَاكِلِ حَيَاتِي الَّتِي تُوَاجِهُنِي.

كُلُّ الْفَضْلِ يَعُودُ لِتَفْكِيرِي بِكِ وَتَذَكُرِي لَكَ وَالتَّفْكِيرِ بِذِكْرَيَاتِنَا الْجَمِيلَةِ لَوْلَا تِلْكَ الْأَشْيَاءُ الَّتِي بَيْنَنَا لَمَا وَصَلَتْ لِمَرْحَلَةِ النُّضْجِ هَذِهِ وَلَا أَصْبَحَتْ أَقْوَى

"فَأَنَّكَ مَصْدَرُ قُوَّتِي".

الْفَصْلُ الثَّانِي

الْفَهْرُسُ

1.يَوْمَانِ

2.عَيْنَاكَ

3.قَرِينَا لِي

4.رَفِيقُ قَلْبِي

5.انِيسْ فِي وَحْدَتِي

6.ذَاكِرَةُ الْقُلُوبِ

7.مَا اقْسَى قَلْبُهُ

8.لَنْ تَخُونَكَ رُوحِي

9.صُدْفَةٌ قَاتِلِهِ

يَوْمَانِ

48 سَاعَةً مِنْ الْوَقْتِ الَّذِي رَافَقْتَنِي بِهِ كُنْتُ بِجَانِبِي أَمَامَ عَيْنِي.

لَمْ يَكُنْ مُجَرَّدَ وَقْتٍ بَلْ كَانَ ذِكْرَى خَالِدَةَ فِي قَلْبِي وَذِهْنِي؛ لَقَدْ كَانَتْ ذِكْرَى مُؤْلِمَةً تَحْمِلُ الْكَثِيرَ مِنْ الْأَوْجَاعِ الَّذِي لَمْ يَشْفِ قَلْبِي وَعَقْلِي مِنْهَا لِلْآنِ.

فِي أَوَّلِ دَقَائِقَ لَكَ شَعَرْتَ بِرَعْشَةٍ وَكَأَنَّ رُوحًا عَادَتْ لِجَسَدِهَا، نَظَرَتْ لِعَيْنَاكَ وَفَقَدْتْ عَقْلِيًّا بَدَأَ قَلْبِي تَنْبِضُ نَبَضَاتٌ لَمْ بِنَبْضِهَا مِنْ قَبْلُ.

لَا أَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَنِي حِينَهَا أَصْبَحْتُ غَيْرَ قَادِرَةٌ عَلَى التَّفْكِيرِ بِشَيْءٍ سِوَى أَنَّكَ أَمَامِي الْآنَ.

بَعْدَ تَبَادُلِ أَوَّلِ حَدِيثِنَا بَدَأَتِ الِابْتِسَامَةُ تُصَاحِبُ شَفَتِي، وَبَدَأْتُ أَنَجْذِبُ إِلَيْكَ وَكَانَ أَوَّلَ مَرَّةٍ أُقَابِلُكَ بِهَا فِي حَيَاتِي.

ثَوَانٍ لِي لِأَبْدَأَ بِتَمْعُنِ عَيْنَاكَ ذَاتِ اللَّوْنِ الْبَنِيِّ وَشَعْرُكَ الْأَسْوَدِ كَسَوَادِ اللَّيْلِ، لَقَدْ تَمَعَّنْتُ كُلُّ تَفْصِيلَةٍ مِنْ تَفَاصِيلِ جَسَدِكَ.

لَحَظَاتٌ لِيَمْلَأَ الْغُرْفَةَ صَوْتًا مَا كَانَ يَبْدُو

كَصَوْتِ أَجْرَاسِ الْكِنْسِيَّةِ لَمْ نَكُنْ نَعْلَمُ بِأَنَّهُ صَوْتُ نَبَضَاتِ قَلْبِكَ.

كَانَتْ أَوَّل صُدْفَةً جَمَعْنَا بِهَا الْقَدْرَ بَعْدَ غِيَابِنَا الْأَوَّلِ الَّذِي دَامَ لِمُدَّةِ عَامَيْنِ لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ أَنَّهَا سَتَكُونُ أَجْمَلَ صُدْفَةٍ لِي، صُدْفَةً غَرَسَتْ فِي قَلْبِي وَذِهْنِي تُرَافِقُنِي جَمِيعَ أَوْقَاتِي.

وَبَعْدَ عِتَابِنَا الْأَوَّلِ الَّذِي اسْتَمَرَّ لِمُدَّةِ سَاعَاتٍ عَادَ النَّبْضُ لِقَلْبِي عِنْدَ عَوْدَتِكَ لِحَيَاتِي حَيْثُ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَجْرًا خَلَدَ صَوْتُكَ فِي مَسْمَعِي عِنْدَ قَوْلِكَ لِي "أُحِبُّكَ".

كَانَتْ أَوَّلَ مَرَّةٍ اسْمَعْهَا مِنْكَ وَجْهًا لِوَجْهٍ لَقَدْ. لَقَدْ كَانَتْ لَيْلَةً رَائِعَةً بَلْ كَانَ تَارِيخٌ مُمَيَّزٌ فِي حَيَاتِي شَعَرْتُ وَكَأَنَّنِي حَقَّقْتُ حُلْمًا مِنْ أَحْلَامِي.

2019_8_14 لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ بِأَنَّهُ تَارِيخٌ لِلْقَائِيٍّ بِكَ أَرَادَ الْقَدَرَ أَنْ يَجْمَعَنَا بِهَذَا التَّارِيخِ مُجَدَّدًا.

وَلَكِنْ يَا تَرَى هَلْ هُنَاكَ سَبَبٌ قَدَرِيٌّ لِصِرْفَتِنَا؟ أَمْ أَنَّهَا جُرْحٌ آخَرُ لِقُلُوبِنَا؟.

فِي صَبَاحِ ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي السَّاعَةِ السَّادِسَةِ

وَنِصْفٍ بَدَأْنَا بِتَنَاوُلِ الْقَهْوَةِ مَعًا، بَدَأَتْ بِمُغَازَلَتِي كَانَتْ أَوَّلَ مُغَازَلَةٍ لَكَ فِي الْوَاقِعِ كُنْتِ أَنْتِ بَطَلٌ لِذَلِكَ الصَّبَاحِ.

بَعْدَ دَقَائِقَ مِنْ جُلُوسِنَا أَمَامَ بَعْضِنَا الْبَعْضِ مَسَكْتُ يَدَي عِنْدَمَا مَسَكْتُ يَدَايَ بِشِدَّةٍ قُلْتُ لِي "أَنَا مَعَكَ" هَلْ كَانَ هَذَا حَقِيقِيًّا أَمْ أَنَّكَ اعْتَدَى قَوْلَ هَذَا لِأَيِّ فَتَاةٍ؟!.

فِي وَقْتِهَا شَعَرَتْ أَنَّهَا أَوَّلُ وَآخِرُ مَرَّةً تُمْسِكُ يَدَايَ بِهَذَا الْحُبِّ، عِنْدَ تَرْكِكَ يَدَايَ شَعَرْتَ

وَكَأَنَّ قَلْبِي ذَهَبَ مَعَكَ نَعَمْ لَقَدْ تَرَكْتَ يَدِي

وَلَكِنَّكَ أَخَذْتَ قَلْبِي تَرَكْتُ لِي جُرْحًا لَمْ يَشْفْ قَلْبِي مِنْهُ لِلْآنِ.

يَوْمَانِ اسْتَطَاعُوا بِأَنْ يَكُونَا صُدْفَةً مُخَلَّدَةً فِي قَلْبِي لَقَدْ أَطْلَقْتُ عَلَيْهَا اسْمًا

"ذِكْرَى انْطِفَاءٍ لِرُوحِيٍّ"

مَا كُنْتُ أَدْرِي أَنَّهَا سَتَكُونُ بِدَايَةً لِفِرَاقِنَا الثَّانِي بَلْ لِفِرَاقِنَا الْأَبَدِيِّ.

عَيْنَاكَ

وَفِي عَيْنَيْكَ مُعْجِزَةٌ خُلِقْتَ بِكَ لِتَتَمَيَّزَ بِهَا عَنْ بَقِيَّةِ الْبَشَرِ.

يَا صَاحِبَ الْعَيْنَانِ الْبِنْيَةُ الْوَاسِعَةُ مَاذَا فَعَلْتُ بِقَلْبِي، يَا تَرَى هَلْ هَذَا سِحْرٌ مُتَعَمِّدٌ أَمْ رَبَّانِي فَفِي عَيْنَيْكَ لُمْعَةٌ تَجْذِبُ النَّاظِرِينَ إِلَيْهَا لِتَغْمِّرَهُمْ إِلَى عَالَمِ عَيْنَيْكَ.

فِي أَوَّلِ لِقَاءٍ لَنَا نَظَرْتُ لَعَيْنَاكَ فِي لَحْظَةٍ مَا غَمَرَ جَسَدِي سِحْرَهَا حَيْثُ جَعَلَنِي أَفْقِدُ بَصَرِي لِأَتَقَيَّدَ بِرُؤْيَةِ جَمَالِهَا فَقَطْ.

لَقَدْ تَمَعَّنْتُ فِي لَوْنِهَا الْبَنِيِّ وَرَسَمْتُهَا الْوَاسِعَةُ وَسَوَادَ رُمُوشِهَا اللَّيْلِيِّ؛ أَخْبَرَنِي مَاذَا فَعَلْتْ بِي عَيْنَاكَ لِتَجْعَلَ عَيْنَايَ تَرْفُضُ رُؤْيَةَ غَيْرِهَا.

ذَاتِ مَرَّةٍ فِي لِقَاءٍ آخَرَ بَيْنَنَا بَيْنَمَا تَجْلِسُ أَمَامَ عَيْنِي تُبَادِلُنِي الِابْتِسَامَةَ أَتَذَكَّرُ حِينَهَا أَنَّنِي انْجَذَبْتُ لِعَيْنَاكَ بِطَرِيقَةٍ اعْجُوبِيَّةٍ.

لَقَدْ دَخَلْتَ لُمْعَةُ عَيْنَيْكَ عَلَى قَلْبِي كَالسِّهَامِ؛ لَمْ تَكُنْ سِهَامًا جَارِحَةً بَلْ كَانَتْ سِهَامٌ تَزَيَّنَتْ بِالْحُبِّ لِيَزْهِرَ قَلْبِي مِنْ جَدِيدٍ.

وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ أَسْرَحُ بِعَيْنَيْكَ أَرَى نَفْسِي فَاقِدًا لِوَعْي حَيْثُ تَتَوَقَّفُ جَمِيعُ حَوَاسِي، وَأَغْرَقَ بِسِحْرِهَا الْعَجِيبِ الَّذِي كُلَّمَا دَخَلَ قَلْبِي يَزْرَعُهُ بِهِ شِرْيَانًا لِيَنْبِضَ قَلْبِي لِتَعُودَ لَهُ الْحَيَاةُ مَرَّةً أُخْرَى.

أَمَّا فِي آخِرِ لِقَاءٍ لَنَا أَصْبَحَتْ مُغْرَمَةً فِي عَيْنَيْكِ وَنَظَرَاتُهَا الْإِمْعَةُ بَيْنَمَا جَعَلَتْ قَلْبِي لَا يَسْتَطِيعُ الِاكْتِفَاءَ بِحُبِّهَا فَقَطْ بَلْ أَصْبَحَ هَائِمًا بِهَا.

"فَيَا وَيْلُ قَلْبِي مِنْ عَيْنَيْكَ".

قَرَيْنَا لِي

فِي إِحْدَى لَيَالِي دِيسِمْبِرَ الْبَارِدَةِ جَلَسْتُ أَمَامَ النَّافِذَةِ أَحْتَسِي الْقَهْوَةَ بَعْدَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ بَدَأْتُ أُفَكِّرُ بِنَفْسِي لِيَطْرَأَ عَلَى بَالِي أَنْتَ.

بَدَأْتُ أُفَكِّرُ كَثِيرًا فِي غِيَابِكَ الَّذِي لَمْ أَشْعُرْ بِهِ لِيَبْدَأَ عَقْلِي بِطَرْحِ اسْأَلْهُ كَثِيرَةً لِي وَمِنْهَا: كَيْفَ أَرَاكَ فِي الثَّانِيَةِ وَالدَّقِيقَةِ؟ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَزَاوِيَةٍ؟.

لَقَدْ خَطَرْتُ عَلَى بَالِي أُغْنِيَةُ انْدِمَاجِ الْأَرْوَاحِ عِنْدَمَا قَالَ بِهَا فِي أَوَّلِ مَقْطَعٍ:

" وَشُلُونٍ كَيْفَ مَدْرِي رُوحَيْنِ فِي رُوحٍ مَ كُنْتُ أُصَدِّقُ بِانْدِمَاجِكَ يَا الْأَرْوَاحُ مَعْقُولَ أَحَدٍ يَمْشِي مَعِي وَينٌ مُرَوِّحٌ"

كَانَ ذَلِكَ الْمُقْطَعُ اخْتِصَارًا لِجَمِيعِ تَسَاؤُولَاتِي فَكَيْفَ لَكَ أَنْ تَعِيشَ مَعِي رَغْمَ بِعَادِكَ.

وَفِي لَيْلَةٍ لِي أَتَقَلَّبُ عَلَى سَرِيرِي كَيْ أَنَامَ شَعَرْتُ حِينَهَا بِدِفْءٍ غَرِيبٍ، وَشَعَرْتُ أَيْضًا بِيَدٍ أُخْرَى تَمْسِكُ بِيَدِي، وَبِشَخْصٍ آخَرَ يَحْتَضِنُنِي.

لَقَدْ رَجَفَ قَلْبِي كَثِيرًا فِي تِلْكَ الدَّقَائِقِ

لَأَتْلَفْتُ خَلْفِي وَلَمْ أَرَ أَحَدًا وَلَكِنِّي أَتَذَكَّرُ أَنِّي شَعْرٌ يَوْمِهَا بِرَاحَةٍ رَائِعَةٍ لِلْغَايَةِ، وَشَعَرْتُ أَيْضًا أَنِّي بِخَيْرٍ.

وَفِي مَرَّةٍ أُخْرَى لِي جَلَسْتُ عَلَى حَافَّةِ السَّرِيرِ لِأَبْدَأَ بِمُعَاتَبَةِ نَفْسِي وَأُخَاطِبُهَا بَدَأْتُ الْحَدِيثَ لِيَسْبِقَنِي صَوْتٌ غَيْرَ مَعْرُوفِ الْمَصْدَرِ لِيُعَاتِبَنِي

عَلَى هَذَا الْبُعْدِ وَيُعَاتِبُنِي عَلَى إِهْمَالِي لِنَفْسِي لِيَقُولَ لِي:

"لَا تَغُرُّكَ جَمِيعَ هَذِهِ الْمَسَافَاتِ أَنَا دَائِمًا

بِجَانِبِكَ سَتَكُونِينَ قَوِيَّةً وَتُصْبِحِينَ أَقْوَى فَقَطْ أُرِيدُ مِنْكَ أَنْ تَكُونِي مُطْمَئِنَّةً وَتَكُونِينَ بِخَيْرٍ".

أَدْرَكْتَ حِينَهَا

"أَنَّكَ أَصْبَحْتَ قَرِينًا لِي"

أَنِيسٌ فِي وَحْدَتِي

اقْضِي أَيَّامِي وَحْدِي لَا أُبَالِي لِأَحَدٍ وَلَا أُكَلِّفُ نَفْسِي فَوْقَ طَاقَتِهَا، لَكِنْ يَمُرُّ عَلَى الْإِنْسَانِ لَحَظَاتٌ صَعْبَةٌ أَنَّهَا صَعْبَةٌ جِدًّا حَيْثُ يَكُونُ بِهَا بِحَاجَةٍ لِلْفَضْفَضَةِ، فَأَمَّا أَنْ يُكَلِّمَ نَفْسَهُ وَيُعَاتِبَهَا أَوْ يَسْرُدَ مَ يَمُرُّ بِهِ عَلَى شَخْصِهِ الْمُفَضَّلِ.

فِي كُلِّ لَحْظَةٍ صَعْبَةٍ أَعِيشُهَا أَجْلِسُ مَعَ نَفْسِي لِأُحَادِثَكَ أَبَدًا بِسُؤَالِي الْمُعْتَادِ "كَيْفَ حَالُكَ؟" وَمِنْ ثَمَّ أَبَدًا بِمُحَاوَلَاتِي لِلِاطْمِئْنَانِ عَنْكَ إِذْ كُنْتَ بِخَيْرٍ أَمْ لَا أَبْذُلُ قُصَارَى جُهْدِي لِأَعْرِفَ عَنْكَ أَيَّ خَبَرٍ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي.

بَعْدَ مُرُورِ لَحَظَاتٍ ابْدَأْ بِتَذَكُّرِ ذِكْرَيَاتِنَا وَأَيَّامِنَا مَعًا،وَهُنَا أَبَدًا بِمُعَاتَبَتِكَ "لِمَاذَا كُلُّ هَذَا الْهَجْرِ؟!، أَلَمْ تَشْتَقِ لِي؟!، أَتَمَنَّى أَنْ تَعُودَ أَنِّي وَاللّٰهِ لَيْسَتْ بِخَيْرٍ مِنْ بَعْدِكَ.

يَا لَيْتَكَ تَعْلَمُ كَمْ أُحِبَّكَ، لِمَاذَا فَعَلَ بِنَا الْقَدْرَ هَكَذَا؟!، أَرْجُوكَ عَدًّا فَإِنَّ رُوحِي لَمْ تَعُدْ تَتَحَمَّلُ الْمَزِيدَ مِنْ الْأَذَى!".

جَمِيعُ هَذَا أُخَاطِبُكَ بِهِ فِي غَيَابِكَ وَمِنْ ثَمَّ ابْدَأْ بِدُعَاءٍ لَكَ وَمُسَامَحَتُكَ عَلَى الْهَجْرِ فِي

كُلِّ مَرَّةٍ تُرَافِقُ رُوحَكَ لِرُوحِي فِي غِيَابِكَ.

لَحَظَاتٌ تُصَاحِبُنِي ابْتِسَامَةً آخِرِ الْحِوَارِ
حَيْثُ تَهْدَأُ أَعْصَابِي، امْسَحْ دُمُوعِي ،أَتَذَكَّرُ
ابْتِسَامَتَكَ وَعَيْنَاكَ ،أَتَذَكَّرُ عِطْرَكَ وَجَمِيعَ
تَفَاصِيلِكَ لَقَدْ كُنْتَ

"أُنَيْسٌ فِي وَحْدَتِي"

مَا أَقْسَى قَلْبُهُ

مُدَّةٍ مِنْ الزَّمَنِ أَرْسِلْتُ لَهُ كِتَابَاتِي، انْتَظَرْتُ الرَّدَّ كَثِيرًا لَكِنْ دُونَ جَدْوَى. بَدَأْتُ أَتَسَاءَلُ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي هَلْ لَمْ تُعْجِبْهُ كِتَابَاتِي أَمْ أَنَّهُ لَا يُبَالِي.

بَعْدَ مُرُورِ أَشْهُرٍ مِنْ إِرْسَالِهَا لَمْ يَأْتِنِي أَيْ رَدَّ عَلَيْهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ انْتَظَرَ ذَلِكَ الرَّدَّ لَكِنْ دُونَ جَدْوَى مَرَّةً أُخْرَى، بَدَأَتْ فِي التَّفْكِيرِ الْكَثِيرُ مِنْ الْأَسْئِلَةِ تَدُورُ فِي عَقْلِي:

"لِمَاذَا كُلُّ هَذَا التَّأَخُّرِ، يَا تَرَى هَلْ قَرَأَهَا وَغَيْرُ مُبَالٍ أَمْ أَنَّهَا لَمْ تَسِرْ قَلْبَهُ، اعْتَقَدَ أَنَّهَا

عَادَتْ لَهُ ذَاكِرَتُهُ لِحِبِّنَا، بَلْ اعْتَقَدَ عَلَى الْأَرْجَحِ جُعِلَ مِنْهَا كَلِمَاتٌ مُبَعْثَرَةٌ وَلَمْ يُبَالِ".

لَقَدْ كَسَرَ قَلْبِي مِنْ جَدِيدٍ جَعَلَنِي أَعِيشُ وَفِي قَلْبِي أَذًى لَنْ يَشْفَى لِلْأَبَدِ.

يَوْمًا يلْوَ الْآخَرُ تُرَافِقُنِي مَشَاعِرَ مُحْبِطَةً بِكَمِّيَّةٍ أَكْثَرَ مِنْ قِبَلِهَا، يَوْمًا عَنْ يَوْمٍ تَزْدَادُ نَفْسِيَّتِي سُوءًا اعْتَقَدَ بِأَنِّي أَصْبَحْتُ مُصَابَةً بُدَاءِ الِاكْتِئَابِ.

قَطَعَتِ الْأَمَلَ مِنْهُ وَبَدَأَتْ أَعِيشُ فِي ذَلِكَ السَّوَادِ الَّذِي أَحَاطَ بِي، مَا أَقْسَى تِلْكَ الْأَيَّامَ كَانَتْ تَمُرُّ وَكَأَنَّهَا صَخْرَةٌ تَهْتَزُّ كُلَّ يَوْمٍ لِتُصِيبَنِي بِضَرْبَةٍ قَاضِيَةٍ.

بَعْدَ كُلِّ هَذَا سَجَّلْتُ مَعَ نَفْسِي لِأُفَكِّرَ بِأَيَّامِ عُمْرِي الَّذِي تَذْهَبُ لِأَجْلِهِ دُونَ هَدَفٍ.

لَقَدْ بَدَأْتُ مِنْ الصِّفْرِ لِأُرَمِّمَ قَلْبِي مِنْ جَدِيدٍ مَرَّةً أُخْرَى؛ لَقَدْ نَجَحْتُ فِي تَحْوِيلِ ذَلِكَ السَّوَادِ إِلَى عَالَمٍ يَزْهَرُ بِالْأَمَلِ وَالْبَسَاطَةِ.

وَأَخِيرًا بَعْدَ مُرُورِ ثَلَاثَةِ شُهُورٍ مِنْ بَدْءِ تَرْمِيمِ قَلْبِي أَدْرَكْتُ بِأَنْ لَيْسَ الْأَيَّامُ هِيَ الْقَاسِيَةَ إِنَّمَا قَلْبَهُ

"فَمَا أَقْسَى قَلْبَهُ".

ذَاكِرَةُ الْقُلُوبِ

بَعْدَ مُرُورِ شَهْرٍ مِنْ تَرْكِ رَدِّهِ وَمُحَاوَلَتِي فِي نِسْيَانِهِ كُنْتُ أَجْلِسُ فِي غُرْفَتِي قَرِيبَ السَّاعَةِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ لَيْلًا، نَظَرْتُ فِي هَاتِفِي لِأَرَى مِنْهُ رِسَالَةً لَقَدْ صَدِمْتُ مِنْ ذَلِكَ يَا تَرَى لِمَاذَا عَادَ بَعْدَ كُلِّ هَذِهِ السَّنَوَاتِ.

لَقَدْ دَقَّ قَلْبِي بِسُرْعَةٍ كَبِيرَةٍ وَبَدَأَ جَسَدِي بِالرَّجْفَةِ كَانَتْ تِلْكَ الرَّجْفَةُ الَّذِي شَعَرْتُ بِهَا مِنْ قَبْلُ.

فِي أَوَّلِ رِسَالَةٍ بَيْنَنَا شَعَرْتُ بِالْخَوْفِ وَبَدَأَتْ بِالتَّوَتُّرِ بَعْدَ عِدَّةِ دَقَائِقَ لَأَرَى قُمْتُ بِفَتْحِ

رِسَالَتِهِ لِأَرَى الرَّدَّ غَيْرَ الْمُتَوَقَّعِ مِنْهُ.

شَعَرْتُ مِنْ جَدِيدٍ وَكَأَنَّ هُنَالِكَ شَيْءٌ مَا سَقَطَ فَوْقَ رَأْسِي أَتَذَكَّرُ بِأَنَّ آخِرَ شَيْءٍ رَأَيْتُهُ إِضَاءَةَ غُرْفَتِي.

مَرَّ أُسْبُوعٌ عَلَى اسْتِيقَاظِي لِأَرَى نَفْسِي بِمَكَانٍ آخَرَ غَيْرِ مَنْزِلِي تُحِيطُنِي أَجْهِزَةٌ طِبِّيَّةٌ.

صَوْتَ شَخْصٍ يُرَافِقُنِي يُنَادِي لِلطَّبِيبِ لِيُخْبِرَهُ بِاسْتِيقَاظِي صَوْتَ دَقَّاتِ قَلْبِي غَيْرَ مُنْتَظِمَةٍ عَلَى الْجِهَازِ تُزْعِجُنِي كَثِيرًا.

جَاءَ الطَّبِيبُ قَائِلًا "الْحَمْدُ اللّٰهَ إِنَّكَ اسْتَيْقَظْتَ".

أَخْبِرْنِي بَعْدَهَا إِنِّي بِالْمُسْتَشْفَى وَأَخْبِرَنِي أَيْضًا أَنِّي كُنْتُ فِي غَيْبُوبَةٍ مُؤَقَّتَةٍ مُدَّتُهَا أُسْبُوعًا وَاحِدًا.

ذَلِكَ الصَّوْتُ مَرَّةً أُخْرَى "أَنَّهَا بِخَيْرٍ أَيُّهَا الطَّبِيبُ" رَدَّ فِعْلِيٌّ كَانَ بِسُؤَالِي لَهُمْ مِنْ هَذَا؟ لِيَصْدِمَ الْجَمِيعُ مِنْ رَدِّ فِعَلَيَّ تَوَتُّرُ الطَّبِيبِ وَدَلُّوا مِنْ الْخَوْفِ سَقَطَ عَلُّ الْجَمِيعِ، أَدْرَكَ الطَّبِيبُ حِينَهَا أَنِّي "فَقَدْتُ ذَاكِرَتِي".

بَدَأَتْ بِالصُّرَاخِ مُنَادِيَةٌ بِاسْمِ شَخْصٍ مَا امْتَلَأَتْ غُرْفَتِي بِالْأَطِبَّاءِ وَالْمُمَرِّضِينَ،الْبَعْضُ

يَقُومُ بِتَهْدِئَتِي وَالْآخَرِينَ يُحَاوِلُونَ مَعْرِفَةً مِنْ ذَلِكَ الشَّخْصِ الْوَحِيدِ الَّذِي يَتَذَكَّرُهُ عَقْلِيٌّ.

لَحَظَاتٌ لِيَعُمَّ الْهُدُوءَ بِالْغُرْفَةِ أَشْعُرُ بِخُطُوَاتٍ مِنْ بَعِيدٍ وَكَأَنَّ شَخْصَ مَا يَقْتَرِبُ مِنِّي، كُلَّمَا اقْتَرَبَتْ تِلْكَ الْخُطُوَاتُ تَتَسَارَعُ دَقَّاتُ قَلْبِي وَيَرْتَعِشُ جَسَدِي لَقَدْ أَتَى شَخْصٌ آخَرُ إِلَى غُرْفَتِي سَأَلَ الطَّبِيبُ مَنْ أَنْتَ؟ لِيَرُدَّ قَائِلًا:

"أَنَا الَّذِي تُنَادِينِي".

ارْتَجَفَ قَلْبِي عِنْدَ رُؤْيَتِهِ بِنَفْسِ تِلْكَ الرَّجْفَةِ الَّذِي شَعَرْتُ بِهَا عِنْدَ أَوَّلِ لِقَاءٍ بَيْنَنَا لَكِنَّ الْآنَ لَنْ أَتَذَكَّرَ مِنْ ذَلِكَ الشَّخْصِ، نَبْرَةَ صَوْتِهِ لَنْ تَغِيبَ عَنْ مَسْمَعِي.

شَعَرْتُ أَنَّ هُنَاكَ شَيْءٌ مَا بَيْنَنَا؛ بَدَأْتُ أَسْأَلُ نَفْسِي لِمَاذَا هَذِهِ الرَّعْشَةُ؟! وَمَاذَا يَحْدُثُ؟! وَمِنْ ذَاكَ الشَّخْصُ؟!

الْكَثِيرُ مِنْ الْأَسْئِلَةِ تَدُورُ فِي رَأْسِي،ضَجِيجٌ مُزْعِجٌ عِنْدَ مُحَاوَلَتِي بِتَذَكُّرٍ مِنْ ذَلِكَ الشَّخْصِ الَّذِي شَعَرْتُ بِذَلِكَ الشُّعُورِ نَحْوَهُ.

لَقَدْ أَخَذَتْ إِبْرَةُ الْمُهْدِئِ مَفْعُولَهَا لِأَغْفَى مَرَّةً أُخْرَى.

بَعْدَ سَاعَاتٍ مَرَّتْ عَلَيَّ بِتَعَبٍ اسْتَيْقَظْتُ فِي صَبَاحَ الْيَوْمِ التَّالِي عَلَى صَوْتِ الطَّبِيبِ مَرَّةً أُخْرَى لِيُخْبِرَنِي أَنَّهُ أَصْبَحَ بِإِمْكَانِي الْعَوْدَةُ لِلْمَنْزِلِ.

رَأَيْتُ نَفْسَ الشَّخْصِ يُمْسِكُ بِيَدِي وَيَقُولُ لِي "سَتَخْرُجِينَ مِنْ هُنَا أَنْتَ بِخَيْرٍ لَا تَقْلِقِينَ".

خَوْفًا يُرَاوِدُنِي وَرَفْضًا يَزْدَادُ دَاخِلِيًّا إِلَى أَيْنَ

سَأَذْهَبُ وَمِنْ ذَلِكَ الشَّخْصِ؟!، كَانَ قَلْبِي يُرِيدُهُ بِشِدَّةٍ حَاوَلْتُ الْكَثِيرَ مِنْ تَذَكُّرِي لَهُ لَكِنْ دُونَ جَدْوَى.

مَرَّ عَلَى ذَلِكَ عِدَّةُ أَشْهُرٍ لَمْ يُفَارِقْنِي أَبَدًا كَانَ يَعِيشُ مَعِي فِي نَفْسِ الْمَنْزِلِ، يَهْتَمُّ بِي كَثِيرًا.

لَقَدْ كَانَ يُعْطِينِي مَشَاعِرَ الْحَنِيَّةِ بِطَرِيقَةٍ جَمِيلَةٍ

جِدًّا أَحْيَانًا يَضْمَنِي وَآخِرَةً يُمْسِكُ يَدِي، عَقْلِي يَرْفُضُ وَقَلْبِي يُرِيدُ مَا هَذَا الشُّعُورُ غَيْرَ مُدْرِكَةٍ لِأَيِّ شَيْءٌ.

بَعْدَ مُرُورِ سَنَةٍ عَلَى عَيْشِي مَعَهُ أَعَانِي مِنْ فَقْدِي لِذَاكِرَتِي شَعَرْتُ بِالدَّوَارِ رَافَقَنِي صُدَاعٌ غَرِيبٌ جِدًّا بَدَأْتُ بِالصُّرَاخِ كَثِيرًا وَسَقَطَ أَرْضًا.

لَحَظَاتٌ لِيَعُودَ لِي وَعْيٌ مِنْ جَدِيدٍ لَقَدْ رَأَيْتُهُ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ جَانِبِي يَجْلِسُ أَرْضًا مَاسِكًا بِيَدِي وَرَأْسِي عَلَى قَدَمَيْهِ؛ كَانَ يُرَافِقُهُ الْخَوْفُ وَالنَّدَمُ.

كَانَتْ عَيْنَاهُ تَلْمَعُ لُمْعَةَ حُزْنٍ يَا تَرَى هَلْ هَذَا الْحُزْنُ لِي أُمِّ مِنِّي؟!

فِي صَبَاحَ الْيَوْمِ التَّالِي نَهَضْتُ مِنْ سَرِيرَيْ طَالِبَةٌ مِنْهُ تَبَادُلَ الْأَمَاكِنِ بَيْنَنَا لِيَنَامَ هُوَ عَلَى السَّرِيرِ، لَقَدْ كَانَ مُنْهَكًا مِنْ التَّعَبِ وَلَمْ يَرْفُضْ ذَلِكَ.

جَلَسْتُ عَلَى حَافَّةِ السَّرِيرِ أَتَمَعْنَ مَلَامِحَهُ النَّائِمَةَ، لَقَدْ كَانَ يَنَامُ بِطَرِيقَةٍ جَمِيلَةٍ.

لَقَدْ مَسَكَتْ يَدُهُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ شَعَرْتُ بِذَاتِ الشُّعُورِ الَّذِي كَانَ يُشْعِرُ بِهِ.

وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ اسْتُقِيضَتُ عَلَى لَمَسَاتِهِ لِشِعْرِي جَلَسْتُ عَلَى حَافَّةِ السَّرِيرِ أَسْرَحُ بِجَمَالِ عَيْنَيْهِ.

دَقَائِقَ مَعْدُودَةٌ لِنَبْدَأَ بِتَبَادُلِ الْحَدِيثِ حَيْثُ
بَدَأَ حِوَارُنَا التَّالِي لِأُبَادِرَ أَوَّلًا:

"أَنَا: هَلْ نِمْتَ جَيِّدًا؟!
هُوَ: لِمَاذَا نِمْتَ عَلَى الْأَرْضِ؟!
أَنَا: لَا تَهْتَمِ
هُوَ: مَا بِكَ تُرَافِقُكَ مَلَامِحَ الِارْتِبَاكِ هَلْ هُنَاكَ
شَيْءٌ مَا؟
أَنَا: وَهَلْ هَذَا يُهِمُّكَ؟!

مَاسْكًا بِيَدِي لِيَرُدَّ قَائِلًا وَكَيْفَ لَا يُهِمُّنِي لَوْ

أَنَّكَ لَمْ تَفْقِدِي ذَاكِرَتَكَ لَعَلِمْتَ مِنْ أَنَا".

جَاءَ مِنِّي رَدُّ فِعْلٍ غَرِيبٍ جِدًّا مَسكَتُ يَدُهُ وَضَعْتُهَا عَلَى قَلْبِي وَوَضَعْتْ يَدِي عَلَى قَلْبِهِ،

نَظَرْتُ لِعَيْنَاهُ وَحَدَقَتْ جَيِّدًا بِهَا، لَقَدْ ازْدَادَتْ ضَرَبَاتُ قُلُوبِنَا كَانَتْ لَهْفَتُنَا غَرِيبَةً جِدًّا.

بَعْدَ لَحَظَاتِ صَمْتٍ بَادَرْتُهُ الْكَلَامَ لِأُخْبِرَهُ أَنِّي تَذَكَّرْتُهُ؛ لَقَدْ صَدِمَ مِنْ ذَلِكَ لِيَرُدَّ بِتَعَجُّبِ كَيْفَ وَهَلْ أَتَكَلَّمُ بِجِدٍّ؟!.

أَخْبَرَتْهُ حِينَهَا أَنَّ لَحْظَةَ سُقُوطِي مَرَّةً أُخْرَى

عَلَى رَأْسِي حَرَّكْتُ شُعُورًا دَاخِلَ قَلْبِي.

فَكَيْفَ لِقَلْبِي أَنْ يَنْسَاكَ فَإِنَّ وَاللّٰهِ

"ذَاكِرَةُ الْقُلُوبِ أَقْوَى بِكَثِيرٍ مِنْ ذَاكِرَةِ الْعُقُولِ"

أَنِيسٌ فِي وَحْدَتِي

اقْضِي أَيَّامِي وَحْدِي لَا أُبَالِي لِأَحَدٍ وَلَا أُكَلِّفُ نَفْسِي فَوْقَ طَاقَتِهَا، لَكِنْ يَمُرُّ عَلَى الْإِنْسَانِ لَحَظَاتٌ صَعْبَةٌ أَنَّهَا صَعْبَةٌ جِدًّا حَيْثُ يَكُونُ بِهَا بِحَاجَةٍ لِلْفَضْفَضَةِ، فَأَمَّا أَنْ يُكَلِّمَ نَفْسَهُ وَيُعَاتِبَهَا أَوْ يَسْرُدَ مَ يَمُرُّ بِهِ عَلَى شَخْصِهِ الْمُفَضَّلِ.

فِي كُلِّ لَحْظَةٍ صَعْبَةٍ أَعِيشُهَا أَجْلِسُ مَعَ نَفْسِي لِأُحَادِثَكَ أَبَدًا بِسُؤَالِي الْمُعْتَادِ "كَيْفَ حَالُكَ" وَمِنْ ثَمَّ أَبَدًا بِمُحَاوَلَاتِي لِلِاطْمِئْنَانِ عَنْكَ إِذْ كُنْتَ بِخَيْرٍ أَمْ لَا أَبْذُلُ قُصَارَى جُهْدِي لِأَعْرِفَ عَنْكَ أَيَّ خَبَرٍ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي.

بَعْدَ مُرُورِ لَحَظَاتٍ ابْدَأْ بِتَذَكُّرِ ذِكْرَيَاتِنَا وَأَيَّامِنَا مَعًا،وَهُنَا أَبَدًا بِمُعَاتَبَتِكَ "لِمَاذَا كُلُّ هَذَا الْهَجْرِ؟!، أَلَمْ تَشْتَقِ لِي؟!، أَتَمَنَّى أَنْ تَعُودَ أَنِّي وَاللّٰهِ لَيْسَتْ بِخَيْرٍ مِنْ بَعْدِكَ.

يَا لَيْتَكَ تَعْلَمُ كَمْ أُحِبَّكَ، لِمَاذَا فَعَلَ بِنَا الْقَدْرَ هَكَذَا؟!، أَرْجُوكَ عَدًّا فَإِنَّ رُوحِي لَمْ تَعُدْ تَتَحَمَّلُ الْمَزِيدَ مِنْ الْأَذَى!".

جَمِيعُ هَذَا أُخَاطِبُكَ بِهِ فِي غَيَابِكَ وَمِنْ ثَمَّ ابْدَأْ بِدُعَاءٍ لَكَ وَمُسَامَحَتُكَ عَلَى الْهَجْرِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ تُرَافِقُ رُوحَكَ لِرُوحِي فِي غِيَابِكَ.

لَحَظَاتٌ تُصَاحِبُنِي ابْتِسَامَةً آخِرِ الْحِوَارِ حَيْثُ تَهْدَأُ أَعْصَابِي امْسَحْ دُمُوعِي.

بَعْدَ ذَلِكَ أَتَذَكَّرُ ابْتِسَامَتَكَ وَعَيْنَاكَ أَتَذَكَّرُ عِطْرَكَ وَجَمِيعَ تَفَاصِيلِكَ لَقَدْكُنْتَ

"أُنَيْسٌ فِي وَحْدَتِي"

لَنْ تَخُونَكَ رُوحِي

بَعْدَ انْفِصَالِنَا خِلَالَ سِتِّ سَنَوَاتٍ أَصْبَحَتْ أَرَى الْعَالَمَ بِنَظْرَةٍ مُخْتَلِفَةٍ تَمَامًا عَمَّا كُنْتَ أَرَاهَا مِنْ قَبْلُ؛ نَظْرَةٍ فَارِغَةٍ لَا يَمْلَؤُهَا شَغَفًا وَلَا تَفَاؤُولَ حَتَّى أَصْبَحَتْ أَرَى جِنْسَ آدَمَ كَعَابِرِينَ فِي حَيَاتِي بَلْ وَصَفْتُهُمْ بِوُحُوشِ الْبَشَرِيَّةِ، حَيْثُ إِنَّ غِيَابَكَ طَفَأَ رُوحِيًّا بِأَكْمَلِهَا لَا يُرَافِقُنِي شَغَفٌ لِلْحُبِّ وَلَا لِلْحَيَاةِ.

تَشْتَاقُ رُوحِي لِلْحُبِّ وَلِشَخْصٍ مَا لِيُغَازِلُنِي ،اشْتَاقَ بِأَنْ أَثِقَ بِالْآخَرِينَ، اشْتَاقَ لِبَسَاطَتِي وَتَفَاؤُولِي، وَحَتَّى لِطُفُولَتِي، لِنَظَرَاتِي لِلْحَيَاةِ فِي حُضُورِكَ، اشْتَاقَ لِسَمَاعِ دَقَّاتِ قَلْبِي

بِمُرَافَقَتِكَ وَلِلْمَعَةِ عَيْنَايَ عِنْدَ التَّحْدِيقِ فِي عَيْنَاكَ، أَنِّي وَاَللّٰهِ اشْتَاقَ لِرُوحِي مَعَكَ.

فِي كُلِّ فُرْصَةٍ تَأْتِينِي لِلِارْتِبَاطِ بِشَخْصٍ آخَرَ أَشْعَرَ وَكَأَنَّ حَبْلَ يَلَفُّ عَلَى عُنُقِي لِيَقُومَ بِخَنْقِي، تَضْطَرِبُ نَفْسِي وَيَتَعَكَّرُ مُزَاجِي، وَعِنْدَ سَمَاعِ كَلِمَاتِ غَزْلٍ مِنْ غَيْرِ لَا يَسْتَطِيعُ قَلْبِ أَنْ يَنْبِضَ لِلْغَيْرِ.

أَدْرَكَتْ بَعْدَ هَذِهِ الْمُعَانَاةِ أَنَّ سَبَبَ كُلِّ هَذَا الرَّفْضِ لِفُرَصِ الْحُبِّ الْكَثِيرَةِ بِأَنِّي أَشْعُرُ فِي كُلِّ فُرْصَةٍ أَنَّكَ تَعِيشُ بِدَاخِلِيٍّ،

تَقُولُ لِي: "أَنَا مَعَكَ" لَكِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟! لِمَاذَا جَعَلْتَنِي اشْعُرْ عِنْدَ مُوَافَقَتِي لِفُرْصَةٍ مَا أَنِّي سَأَقُومُ بِخِيَانَتِكَ؟!

يَا لَيْتَكَ تَعُودُ وَاللّٰهِ

"لَنْ تَخُونَكَ رُوحِي أَبَدًا".

صُدْفَةٌ قَاتِلَةٌ

فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ الْمُوَافِقِ 7_6_2024 فِي تَمَامُ السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ وَنِصْفِ عَصْرٍ، بَعْدَ فِرَاقِنَا الَّذِي دَامَ لِسَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ كُتِبَ لَنَا الْقَدْرُ أَنْ تَتَلَاقَى أَعْيُنُنَا -مِنْ جَدِيدٍ- لِتَلْهَفَ قُلُوبُنَا مَرَّةً أُخْرَى كُلْهْفَتِنَا الْأُولَى فِي أَوَّلِ لِقَاءٍ لَنَا.

لَمْ يَطْرَأْ بِبَالِي أَنْ أَجْتَمِعَ بِكَ -مِنْ جَدِيدٍ- وَلِأَنَّ الْحَيَاةَ صَدَفٌ كَانَ لِي نَصِيبٌ مِنْ صَدَفٍ الْحَيَاةُ بِكَ.

لَحَظَاتٌ أَدْرِكَ عَقْلِي أَنَّكَ آتٍ لِنَفْسِ الْمَكَانِ الَّذِي أَتَوَاجَدُ بِهِ، لَتَخْبَّطْتَ مَشَاعِرِي فَجُزْءٌ مِنْهَا سَعْدٌ بِلِقَائِكَ وَجُزْءٍ آخَرَ بَدَأَ بِتَآكُلِ قَلْبِي مِنْ جَدِيدٍ.

لَقَدْ كَانَ سَمَاعِي لِخَطَوَاتِكَ الَّتِي تَقْتَرِبُ مِنِّي أَثَرَ أُعْجُوبِي عَلَى أَعْصَابِي، فَرُؤْيَةُ عَيْنِي لَكَ قَادِمٌ نَحْوِي جَعَلْتَنِي أَتَمَنَّى أَنْ تَنْشَقَّ الْأَرْضُ لِتَبْلَعَنِي.

لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ مَا هَذَا الرَّفْضُ مِنْ عَقْلِي لِرُؤْيَتِكَ شَيْءٌ غَرِيبٌ لَا يُفَسَّرُ، أَمَا عَنْ قَلْبِي لَهَفَ مَرَّةً أُخْرَى اضْطَرَبَتْ دَقَّاتُهُ شَعَرَتْ وَكَأَنَّهَا بِدَايَةٌ جَدِيدَةٌ لَنَا.

بَعْدَ ثَوَانٍ مِنْ اقْتِرَابِكَ الَّذِي كَانَ يَفْصِلُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بِخُطْوَةٍ وَاحِدَةٍ رَفَضَتْ عَيْنَايَ رُؤْيَتَكَ لِتُعْطِيَ رَدَّ فِعْلٍ وَتَنْظُرَ بِاتِّجَاهٍ مُعَاكِسٍ لَكَ؛ لَا تُرِيدُ أَنْ تَضْعُفَ أَمَامَ عَيْنَيْكَ.

فِي نَفْسِ الْوَقْتِ لَفَتْ قَلْبِي لَكَ لِتَلْتَفَّ لَهِفَتُهُ الثَّالِثَةُ فِي نِصْفِ دَقِيقَةٍ فَقَطْ تَذَكَّرَتْ حِينَهَا مَقُولَةٌ: "غَضَّتْ بَصَرَهَا وَلَكِنْ قَلْبَهَا الْتَفَتَ"

يَا لَهُ مِنْ زَمَنٍ عَجِيبٍ دَارَتِ الْأَيَّامُ بَيْنَنَا لَتُفَسَّرَنَّ مَقُولَةً كَهَذِهِ.

لَقَدْ اسْتَهْلَكَ تَرْمِيمَ قَلْبِي بَعْدَ هَدْمِكَ لَهُ فِي فِرَاقِكَ:

"طَاقَتِي، ابْتِسَامَتِي لِلْغُرَبَاءِ، لُمْعَةُ عَيْنِي عِنْدَ النَّظَرِ لِلْحَيَاةِ وَلَذَّةِ رَغْبَتِي لَهَا، قَتْلُ شَغَفِي لِأُمُورِ حَيَاتِي جَمِيعِهَا.

جَعَلْتُ قَلْبِي بَارِدًا جِدًّا قَاسِيًا أَيْضًا، نَسِيتَ أَخْبَارَكَ بِأَنَّكَ قُدْوَةٌ لِي فِي قَسَاوَةِ الْقَلْبِ"

لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ أَنَّ صَدَفَتَكَ سَتَكُونُ

"صُدْفَةٌ قَاتِلَةٌ"

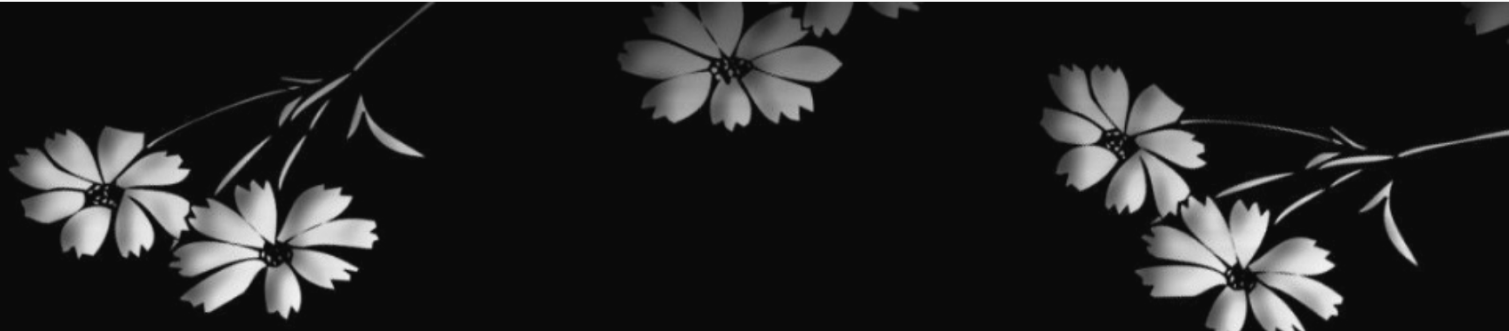

"وَفِي النِّهَايَةِ أَهْدِيكَ هَذَا الْكِتَابَ
لِتُدْرِكَ أَنِّي أَحْبَبْتُكَ مَرَّةً أُخْرَى
فِي غِيَابِكَ"

wallpaperbases.com